

أنا وعوالمى

كان أول عالم تفتحت عيناي عليه
محصورا بحدود المحارة المتى نشأت فيها
بمنازلها المعتيقة ، ذات الأبواب الخشبية ،
والشبابيك الضيقة .
أما أهلها فكانوا غاية فى الطيبة
يعاملون أطفال الجيران كأنهم أطفالهم تماما
وبالنسبة للأصدقاء ، الأقرب إلى قلبى ،
كنا نلعب معا طوال اليوم ، ونتشاجر أحيانا ،
ثم نعود لنتصافى من جديد..

ومع انتقال أسرتى إلى شارع أكبر بحى آخر
اتسع عالمى باتساع الشارع ،
الذى كان يسكنه جيران متحفظون
وبعضهم يمتلك سيارات
ولم يكن حديثهم معنا يزيد عن رد التحية
أما محلات الشارع فكانت مضاعة
طوال النهار بالنيون
بدعا من السوبر ماركت ، إلى الملابس ،
والأحذية ، ولعب الأطفال..

وحين التحقت بالجامعة
اتسع عالمى ، وتنوعت آفاقه
سواء من الزمالة مع أصدقاء
من مختلف ربوع مصر
وكثيرا ما كنت أزورهم فى مدنهم وقراهم ،
أو نذهب معا فى رحلات جامعية
بدعا من أهرامات الجيزة ،
حتى معالم الأقصر وأسوان..

ثم مع مرور الزمن ،
أتاحت لى المظروف المسعيدة
أن أسافر خارج الوطن
وأن أقيم طويلا ، او بمرور عابر ،
على كل من : فرنسا ، وإيطاليا ،
وماليزيا ، وباكستان ، وتركيا ، والصين ،
بالإضافة إلى معظم البلاد العربية..

وفى كل منها : شاهدت عوالم مختلفة ،
وقابلت أنماطا عديدة من البشر ،
وخرجت بتجارب لنا حصر لها ..

وبعد أن تقدم العمر
وصار السفر بالنسبة لى " قطعة من العذاب " ،
أصبحت أفضل الجلوس فى شرفتى
أتابع حركة السيارات ، وتقاطع المارة
وأستعيد بعض ذكرياتى عن عوالمى السابقة
وكيف بدأت من المحارة ، فالشارع ،
فمعالم مصر وقراها ،
حتى اتسعت لتشمل بعض عواصم العالم المعاصر .

...

وقد أتوقف أحيانا لتساءل :
ماذا أفدته من الرحلة فى تلك العوالم الكثيرة ؟
أولا : أن ما رأيته من العالم ،
رغم كثرته وتنوعه ،
لا يمثل إلا جزءا ضئيلا مما لم أراه
وبالتالى لا يمكن أن أدعى أن أحكامى
تكون عامة وقطعية ، بل إنها تظل محدودة ،
ونسبية .

ثانيا : أننى أصبحت أكثر تسامحا مع المختلفين عنى
لأننى رأيتهم يعيشون حياتهم
تبعاً لأسلوبهم ، وقوانينهم ، وعاداتهم ..
وأعترف بأننى ما قابلت أحدا منهم
حاول أن يفرض على شئنا منها .
وأخيرا : فإن الناس الذين رأيتهم ،
وتعاملت معهم فى كل بلد زرتة
لا يكادون يختلفون عن غيرهم فى البلاد الأخرى ..
صحيح أن بعضهم يتميز ببعض السمات الخاصة ،
إلا أننى كنت عندما أحقق فى عيونهم ،
أجد أنهم جميعا متشابهون !